معالم تجديد الخطاب التربوي في التفكير الإسلامي

بقلم

الدكتور محمود الخالدي *

الحمد لله تعالى الذي علم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم، وجعل التربية بالتعلم من مقدمات بناء الشخصية الإسلامية بقوله عز من قائل .... ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ﴾[1]. وبعد ميز الحق تبارك وتعالى بين الناس بدرجات من التعلم، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لاَ يَعْلَمُوْنَ﴾[2].

والصلاة والسلام على معلم الناس الخير والنهضة والرفعة والقيم أبي القاسم محمد، وعلي آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم وسار على هديهم إلى يوم يبعثون، وبعد.

---

* - الخبير الاستشاري لمناهج الدراسات الإسلامية منظمة امديست والبنك الدولي، أستاذ السياسة الشرعية في جامعة اليرموك.

[1] - سورة العلق آية ١.

[2] - سورة الزمر آية ٩.

فإن الله تعالى كرم الإنسان بالعقل، وبه فضله على سائر المخلوقات، قال الله تعالى ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوْا الْأَلْبَابِ ﴾ [1]، وجاءت العقيدة الإسلامية أساسا للتفكير الجاد المثمر الصالح الناهض حين نعى القرآن على من سبقوا الإسلام، ووصف عهدهم بالجاهلية، ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُوْنَ ﴾ [2]، مما يشير إلى المكانة الرفيعة للعلم والتعلم، وقد حرص الإسلام على التأكيد بأن يتولى ولي الأمر رعاية شؤون الرعية بالتثقيف، وتبنى أفكار تصوغ سياسة التعليم، في جميع مراحل التعلم من محو الأمية حتى الدكتوراه.

فكانت العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي يقوم عليه منهاج التعليم، الذي تبنى عليه المعلومات المراد تعلمها بشموله أمرين:

الأول: مواد ومقررات ومساقات الدراسة.

الثاني: طرق التدريس ووسائل التعليم والتعلم.

لذلك فإنه حين كسفت الشمس يوم وفاة إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال الناس: كشفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته" [3]،

---

[1] – سورة البقرة آية ٢٦٩.

[2] – سورة المائدة آية ٥٠.

[3] – حديث صحيح، رواه الشيخان، صحيح البخاري كتاب باب الدعاء، حديث رقم ١٠٤٣.

فجعل العقيدة الإسلامية هي الأساس للمعلومات العلمية عن الكسوف والخسوف.

إلا أن جعل العقيدة أساسا لمنهج التعليم لا يعنى أن تكون كل معرفة منبثقة عن العقيدة الإسلامية، لأن ذلك لم يطلبه الشرع، وهو أيضا يخالف الواقع، فيتحدد المقصود من جعل العقيدة أساسا لمناهج التعليم، وهو أن تتخذ العقيدة الإسلامية مقياسا، فما ناقضها يحرم أخذه، وما لم يناقضها جاز أخذه.

وفي هذا يقول المفكر التربوي المعاصر الدكتور إسحاق الفرحان إن الفرضيات التي بنينا عليها تصورنا لبناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة متعددة وأهمها"[1] :

أولا: شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة فالتربية الإسلامية شاملة وليست مرادفة للتربية الدينية كما عند الغرب.

ثانيا: تأصيل الفكر التربوي المعاصر من الزاوية الإسلامية بالانطلاق من الكتاب والسنة.

ثالثا: الاستفادة من التراث الفكري التربوي الإسلامي، وتحليله تحليلا ناقدا، ليستفاد منه لحياتنا المعاصرة.

رابعا: مخاطبة مشكلات العصر التربوية من منظور إسلامي.

---

[1] – في كلمته التي ألقاها في " مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة" ص ١٤ من كتاب المؤتمر، تحرير الدكتور فتحي ملكاوي عمان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

خامسا: الإيمان بأن النظرية التربوية تمثل اجتهاد العلماء وتفسيرهم، وهي متطورة حسب الزمان، والمكان وحسب الخبرة، مع عدم إغفال التفاعل مع التجربة الإنسانية، والحفاظ على ثوابت منظومة القيم الإسلامية المنبثقة من الكتاب والسنة.

وذلك لأن العقائد هي التي تصنع المثل العليا التي تهيمن على سلوك النفس البشرية، بنقلها من الميوعة إلى الثبات والصلابة، فالسياسة التربوية التي رسمها سيد الأنبياء لا تزال وحدها القديرة على إعادة البناء المتصدع، وإنقاذ أمة كبيرة من مهاوي الفناء والهزيمة"[1].

لذلك جاءت الأحاديث النبوية تحث على العلم والتعلم : "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" [2]، وهذا خطاب عام يشمل ما وافق العقيدة وما خالفها، كما ورد في القرآن الكريم ذكر لأفكار وعقائد تناقض الإسلام مثل قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾[3]، مما يدل على جواز تعلم الأفكار التي تناقض العقيدة

---

[1] – المرحوم الشيخ محمد الغزالي كتاب مؤتمر نحو نظرية تربوية إسلامية ص ٤٦.

[2] – دليل الفالحين ١٨٥/٤، لمحمد بن علان، مصطفى الحلبي بمصر سنة ١٣٨٥هـ.

[3] – سورة الجاثية آية ٢٤.

الإسلامية، وعليه فإن الانفتاح على تعلم المعارف من غير أخذ لها ولا اعتقاد بها أمر مطلوب تربويا، ولكن الممنوع هو تعلم المعارف المناقضة للإسلام من أجل أخذها في التصور والدعوة والتطبيق فمثلا نظرية دارون تقول: إن الإنسان تطور عن القرد، مع أن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيْسَى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾[1]، ونظرية التطور المادي في العقيدة الشيوعية تقول: إن المادة تتطور من ذاتها تطورا حتميا، ولا يوجد شيء آخر طورها، فلا يوجد خالق لهذا الكون، مع أن الله تعالى يقول ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا آمِنُوْا ﴾[2] أي بوجوده، ويقول الحق تبارك وتعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾[3]، وقد أحدث القرآن الكريم ثورة ثقافية عارمة لم يشهد لها الناس مثيلا لا من قبل ولا من بعد، أنقذت البشرية من الانقسام، والظلم والعدوان، ومن التخلف الثقافي وما مكن الإسلام أن يفعل ذلك إلا تلك المكانة الرفيعة التي احتلتها المعرفة من خلال ثورة ثقافية من حيث الشمول والجذرية"[4].

---

[1] – سورة آل عمران آية ٥٩.

[2] – سورة النساء آية ١٣٦.

[3] – سورة السجدة أية ٤.

[4] – الدكتور سعيد إسماعيل علي ص ١٦٢، من مخلص بحثه المقدم إلى مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية.

ونؤكد هنا أهمية التنبيه إلى أن ما ورد في الكتاب والسنة من معارف الوحي، يشكل قيما ومرجعية ومعيارا لضبط مسيرة البشرية في كل زمان ومكان، وأن وضع البرامج والمناهج في التعليم والتعلم يجري عليها الخطأ والصواب، والمعرفة والإنكار، والقبول والرد، لكونها اجتهادا عقليا في تنزيل الفهم الإسلامي على وقائع مستجدة لخبرات بشرية في المعرفة اللازمة للنهضة [1].

ومن هنا يتقرر بوضوح: أن الثقافة الإسلامية هي المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سببا في بحثها ومعرفتها وهي[2] :

أولا: المعارف التي تتضمن العقيدة الإسلامية وتبحثها مثل "علم التوحيد.

ثانيا: المعارف التي تم بناؤها على العقيدة الإسلامية مثل "الفقه والتفسير، والحديث".

ثالثا: المعارف التي يقتضيها فهم ما ينبثق عن العقيدة من الأحكام، مما يوجبه الاجتهاد في الإسلام مثل "علوم اللغة العربية، ومصطلح الحديث وعلم الأصول".

فهذه كلها ثقافة إسلامية كانت العقيدة سببا في بحثها، وليس معنى الحث على تعلم وتعليم الثقافة الإسلامية هو اقتصار المسلم عليها

---

[1] – عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الخطاب التربوي الإسلامي ص١١، كتاب الأمة الصادر من دولة قطر، عدد ١٠٠/٢٤/١٤٢٥هـ.

[2] – الشخصية الإسلامية ٢٢٧/١، الطبعة الأولى، القدس سنة ١٩٥٤.

فقط، بل معناه جعلها أساسا في التثقيف والتعليم، والتأهيل والتدريب، وإباحة غيرها من الثقافات والعلوم، إلا أنه يجب أن تكون الشخصية الإسلامية هي المركز الأساسي الذي يدور حوله اكتساب أي معرفة.

لذلك كان علينا أن ندرك الإجابة عن السؤال التالي: هل معرفة علوم التربية ومفاهيمها هي من الثقافة الإسلامية المنبثقة عن العقيدة الإسلامية؟ أو أنها من العلوم المبنية على الإدراك العقلي بالحس والمشاهدة؟، وذلك لنحدد موقفنا عند بدء النهضة واستئناف الحياة الإسلامية، أي طريق نسلك وأي مهالك نترك؟.

وقد شاع بقوة طرح عنوان معرفي معاصر بمفهوم "الخطاب التربوي الإسلامي"، أو "أسلمة علوم التربية"[1]، وبالمتابعة الفكرية

---

[1] – كان المعهد العالمي للفكر الإسلامي في أمريكا من أوائل الذين طرحوا هذه الأفكار ضمن سلسلة إسلامية المعرفة سنة ١٩٨٦م، وقد أثار هذا الطرح لأسلمة العلوم الإسلامية عاصفة من النقد والنقض انظر على سبيل المثال:

– أسلمة العلوم الإنسانية، عنوان وهمي لا واقع موضوعي له، للشيخ عثمان عبد القادر الصافي، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م، ص ٢١٩.

– حصوننا مهددة من داخلها للدكتور محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧م حيث قال عن الذين يتأمرون بالغزو الفكري للأمة بالدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية: "ولا يزال أصحاب الباطل ماضين في اتخاذ هذا الأسلوب جيلا بعد جيل، يزحفون حتى يسدوا على الناس الحق" ص ١٠.

وجدنا أن الأمر قد وصل إلى درجة أن ينادي بعض مفكري التربية الإسلامية من المعاصرين إلى اتجاهات متناقضة حصرناها في ثلاثة [1]:

الاتجاه الأول:

يصر على عدم حتمية ربط النظرية التربوية الإسلامية المعاصرة بموروث الحضارة الإسلامية. لأن هذا سيؤدي إلى شيوع صور من التطرف والغلو تقوم على مقولة ترى: إما الإسلام كله وإما تركه كله، ولو قصد بهذا الإيمان الكامل بكل ما جاء في القرآن والسنة المطهرة فهذا حق، لأننا مكلفون بالإيمان بالكتاب كله، ولعل الخلط بين هذه القضية وبين تطبيق الإسلام وفق الاستطاعة هو علة الغلو والفهم الخاطئ"[2]، لأنه من الطبيعي أن يؤدي الفكر النقلي الخامل إلى الإنشداد إلى الماضي، فيعيش العقل المسلم حالة اجترار فكري لمقولات عناصرها صالحة في أزمان تغيرت في كل شيء باستثناء جوهر العقيدة وأصول الشريعة" [3].

---

[1] – قارن مع "أسلمة العلوم الإنسانية" الشيخ عثمان الصافي حيث يرى في ص٣٨ وما بعدها: أنها خمسة آراء: الأول أنه ليس للمسلمين حاجة إلى هذه العلوم، الثاني: الإعجاب بهذه العلوم في مجالها العلمي، الثالث: أسلمة هذه العلوم بتحويلها إلى علوم إسلامية، الرابع: تكييف هذه العلوم مع واقع الطب النفسي، الخامس: هذا تطور فكري في علوم لم يعرفها الإسلام.

[2] – الدكتور سعيد إسماعيل علي "الخطاب التربوي الإسلامي" ص ٦٤.

[3] – المرجع السابق ص ٥٢.

الاتجاه الثاني:

يرى بضرورة اعتماد الكتاب والسنة أساسا لبناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة من خلال منهج يتضمن "نظاما متكاملا من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والخبرات والمعارف والمهارات الإنسانية المتغيرة التي تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها، بقصد إيصالهم إلى مرتبة الكمال التي هيأهم الله تعالى لها، من خلال منهج تربوي يتميز بخصائص "التكامل والربانية والتصور الإسلامي للكون والإنسان، والحياة القائم على منهج التوحيد الذي يخاطب عالمية الفكر الإنساني، بما يحمله من ثوابت تحفظ الإنسان من الانهيار، وبشمولية للحقائق الكلية والفطرة البشرية، بجعل النشاط الإنساني متوجه لعبادة الله تعالى، وذلك بإدراك الصلة بالله تعالى من الناحية الروحية، وذلك كله لنيل غاية الغايات بالنسبة للعبد المؤمن وهي نيل رضوان الله تعالى [١].

الاتجاه الثالث:

يرى أن الحاصل هو في وجوب أن يحرص كل الحرص على العقيدة الإسلامية حين التزود بالثقافات والعلوم الوافدة إلينا، وذلك بجعل الشخصية الإسلامية هي المركز الأساس لاكتساب أي ثقافة

---

[١]- د. علي أحمد مدكور، مفهوم المنهاج التربوي في التصور الإسلامي، بحث لمؤتمر "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة" ص ١٣١-١٣٨، من كتاب المؤتمر التربوي الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

تربوية، وهذا الحرص هو الذي يبقى على وجود الشخصية الإسلامية لدى المسلم، ويجعل الثقافة الإسلامية تؤثر في غيرها من الثقافات، ويحافظ على بقائها ثقافة إسلامية في التربية والتعليم، متميزة عن سائر ثقافات العالم [1].

وإذا ذهب حرص رجال التربية، وتساهلوا في اكتساب الثقافة التربوية من الحضارة الغربية على غير أساس الإسلام، بعيدا عن أخذ العقيدة الإسلامية في الاعتبار، فإن ذلك سيؤدي إلى وجود خطر حقيقي على الشخصية الإسلامية للفرد والأمة والدولة"[2].

ولكن الذي يمعن في النظر إلى واقع ما عليه الفكر التربوي المعاصر، لا يجد مفرا من التسليم بمدى النجاح الذي حققته التربية المعاصرة، ليس في مجال الفكر والمفاهيم، وإنما في مجال الأساليب، وتوظيف العلم، والتقنية، والمهارات، والتجربة، والملاحظة، في سبيل بناء وتصور وتقديم المعلومات والأفكار في عملية التعليم والتعلم.

إذن لا بد من نظرة نحو تجديد فهم كيف يمكن أن يكون عليه حال علوم التربية المعاصرة ؟، وكيف يمكن توظيفها في المساعدة على تكوين الشخصية الإسلامية؟.

---

[1] – قارن حصوننا مهددة من داخلها ص ٤٨–٥٠، وانظر قول جوستاف لوبون في كتابه "روح السياسة" بأن تهذيب المسلمين بالمعارف العصرية الأوروبية خارجا عن دائرة تقاليدهم وعقائدهم يزيدها انحطاطا وفساد أخلاق، ولن تنفعهم هذه العلوم إلا إذا كانت ضمن دائرة عقيدتهم" ص ٩٣، من كتاب بماذا انتصر المسلمون للمرحوم الأستاذ أنور الجندي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م بيروت.

[2] – الشخصية الإسلامية ٢٣٢/١ "بتصرف".

ويعتبر تجديد التعليم للأفراد والبلدان مفتاح تطوير المعرفة وتطويعها ونشرها، فالتجديد والتطوير في التعليم الأساسي يزيد من قدرة الناس على التعلم وتفسير المعلومات، ولكن تلك هي البداية فقط، لأن هناك حاجة كذلك إلى تطوير وتجديد للتعليم العالي والتدريب الفني، من أجل بناء قوة عمل قادرة على مسايرة التيار المتدفق تكنولوجيا، ذلك التيار الذي يضغط بأدواته من أجل وقف التدهور في سرعة انخفاض رأس المال البشري" [1].

فالعملية التربوية القادمة إلينا من الحضارة الغربية لها جناحان:

أحدهما:

جناح الثقافة والفكر والمفاهيم في التصور الكلي للكون والإنسان، والحياة، وهو منبثق من عقيدة النظام الرأسمالي الذي فصل الدين عن واقع الحياة، فالمفاهيم التربوية التي ترى وجوب تعليم الجنس وقيامه بين الذكر والأنثى لدى المراهقين [2]، وبث فكرة أن

---

[1] – د. سعيد إسماعيل علي الخطاب التربوي الإسلامي ص ١٢٥.

[2] – راجع حصونها مهددة من داخلها ص ٤٠، حيث يقول المؤلف: لقد أصدرت مؤسسة فرانكلين سلسلة دراسات سيكولوجية منها العدد ١٢، كتاب "الطفل والأمور الجنسية" جاء في ص ٢٣، سؤال هل تعتقد أن المواقف التي تتضمن ناحية جنسية تثير الضحك؟.

– وجاء في ص ٦٠ ما نصه: "إذا حدث التجريب في النواحي الجنسية في الفترة الواقعة بين سن ٨–١٢ سنة، فمن المحتمل أن يقع بين أفراد الجنس الواحد، فهذا السلوك لا يعتبر غير طبيعي، ولا يدمغ الطفل

الطلاق دمار للأسرة والمجتمع، وأن الموت في سبيل الله تعالى هو انتحار وإرهاب، وأن عقوبة قطع يد السارق هو قمة الهمجية، وأن جلد الزاني هو نهاية الإرهاب الفكري المدمر لحرية الإنسان. كما رأينا أن الاتحاد الأوروبي وهو يعترض على تركيا بجعل قانون العقوبات المتضمن حبس الزاني سببا في حرمانها من دخول الاتحاد الاوروبي.

فهذا الجناح من فكر التربية الغربية المعاصرة لا يمكنه التعايش مع العقيدة الإسلامية، ويستحيل عليه التسلل لتكوين الشخصية الإسلامية المعاصرة [1].

بالشذوذ أو الإجرام، أو الإنحراف، كما أنه لا يستدعي عقابه أو تهديده بأنه سيصاب بأمراض خبيثة، ولا يتطلب محاضرات أخلاقية، ولا يبرر نبذه وتحقيره.

وفي ص ٦٢-٦٣ فبدلا من فصل البنين عن البنات يجب علينا أن نعمل على إشراكهم معا في الأعمال الممتعة، وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية مريحة نحو الجنس الآخر.

- وجاء في ص ٧٨ إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها باعتبارها جانبا من جوانب النمو الجسمي للمراهق، وجاء في ٨٧ في كل علاقة تقوم بين فتي وفتاة يشعر كل منهما بدافع يحفزه على التعبير عن حبه بلمسة أو قبلة والرغبة في الاستجابة لهذه المشاعر أمر طبيعي.

ولذلك كان التقديم العلمي من الدكتور عبد العزيز القوصي للعدل الأول بقوله: هذا الكتاب الأول في مجموعة من الكتب تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين إلى حياة أحسن من تلك التي يعيشونها".

[1] - وفي كتاب آخر أصدرته مؤسسة فرانكلين بعنوان: "كيف تتكامل الشخصية" يقول المؤلف في ص ٧٥: "فالشوق إلى القبلة أو الإنصات

ثانيهما:

جناح تطويع الأفكار العلمية لخدمة التربية، كثقافة الإحصاء التربوي، والقياس والتقويم، والأساليب العقلية في صياغة الأسئلة الموضوعية، والأسئلة السابرة، وتفريد التعليم، والتأهيل التربوي بالتعلم الذاتي عن بعد، والجامعات المفتوحة عبر بث التلفزة الفضائية، فكل ذلك تستوعبه الثقافة الإسلامية.

بل يجب علينا الانتفاع به تعلما وتعليما وتطبيقا، وذلك بأخذ المعاني التي في تلك الأفكار التربوية، وإخصاب الفكر التربوي الإسلامي بها، وتحسين الأداء التطبيقي بهذه المعاني والأفكار والمعارف، لأن ذلك لا يتناقض مع أفكار الإسلام، ولا يؤثر بوجهة النظر في الحياة.

والمسلمون منذ أوائل الفتح الإسلامي حتى العصر الهابط الذي حصل فيه الغزو الثقافي والتبشيري في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، كانوا يجعلون العقيدة الإسلامية أساس ثقافتهم، وكانوا

إلى قصة فيها تلميحات جنسية، ليست أمورا شائنة، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل في باب المحرمات".

وتعليقا على كل ذلك يقول المفكر المسلم الدكتور محمد محمد حسين في رائعته: "حصوننا مهددة من داخلها"ص٤٦: "فهذه الدعوات يسميها أصحابها علما" ويضعونه تحت عنوان جميل اسمه علم النفس، ويغوون الناس باسم العلم فيما فشل فيه المبشرون والدعوات الهدامة، بينما نسميه نحن بذاء أو فجورا".

منفتحين على دراسة الثقافات غير الإسلامية، للانتفاع بما فيها من معاني عن الأشياء.

ومن استعراض الكيفية التي درس المسلمون بها الثقافة غير الإسلامية، وكيف أخذوها، يتبين وجه الانتفاع وعدم التأثر المفضي إلى الاستحسان والاعتناق والتخلي عن ثقافة الإسلام، وهو عكس ما حدث بعد الغزو الثقافي الغربي.

أما بالنسبة إلى باقي العلوم من طبيعية ورياضية وفك وطب، فإن المسلمين درسوها، وأخذوها أخذا عالميا، لعدم تأثيرها بوجهة النظر في الحياة، لأنها علوم تجريبية عامة وعالمية لجميع الناس، ولا تختص بأمة دون غيرها، ولذلك أخذها المسلمون وانتفعوا بها، لكون العلم عالميا لا دين ولا وطن له [1]، وخير مثال على ذلك أسلوب تأليف الكتب والأبحاث العلمية، حيث أخذه المسلمون عن غيرهم حتى نما نموا طبيعيا، إلى أن وصل إلى روعة التنظيم في التدوين والتوثيق وتفريع المسائل والتبويب، حتى أخذ التأليف يتركز حين اتسعت دائرة المعارف الإسلامية، فبرز عند العلماء فن التخصص في تأليف معارف النحو، والتفسير، والأدب، والأخلاق، والأصول والدعوة، والتاريخ، بل

---

[1] - محمد محمد حسين، المرجع السابق ص ٥٠-٥١، حيث يقول: " أما العقل فميدانه المسائل المادية الخالصة كالهندسة والكيمياء وكل ما اصطلح عليه الغربيون في هذا العصر على تسميته Scientific لذلك لم تنزل الشرائع والأديان السماوية بنظريات في الهندسة أو في الطبيعة أو في الكيمياء إلا ما يكون من ذلك على سبيل إظهار المعجزة.

وجدت كتب في فرع واحد من الفقه، مثل كتاب الخراج لأبي يوسف في الاقتصاد، وكتاب الأحكام السلطانية للماوردي في سياسة الحكم، ثم شمل التأليف كل فروع العلوم والمعارف، وصار يترقي تدريجيا إلى أن أصبح تأليفا راقيا شاملا وناصعا في صفحات الحضارة الإسلامية [1].

لذلك كان القياس الشمولي فاسدا حين يذهب بعض المفكرين المعاصرين إلى رفض كل ما أنتجته عقيلة الحضارة الغربية من علوم التربية [2].

والصحيح كما أسلفنا فإن للفكر التربوي وجهان:

أحدهما: الجانب الثقافي المعبر عن وجهة نظر العقيدة الرأسمالية.

ثانيهما: يمثل الجانب العلمي المعبر عن الخبرة والتجربة والمشاهدة.

وفي جميع الأحوال، فإننا نتبنى بقوة جواز الانتفاع وحرمة التأثر، كما فعل السلف الصالح في بدايات عصر النهضة الحضارية، وذلك لا يمنعنا من أن نقف مع الواقفين موقف التشكيك والحذر من

---

[1] - الشخصية الإسلامية ١/٢٤٣.

[2] - راجع وقارن مع الفكر الإسلامي محمد محمد إسماعيل عبده ص ٨٢-٩١، طبعة القدس سنة ١٩٥٣م، والإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف الزين ص ١٧٥-١٧٨ دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة السابعة سنة ١٩٨١م.

الفكر التربوي الغربي، ولا بد من التمحيص قبل البدء بعملية الانتفاع، وذلك بسبب أنه يوجد خلط عند الناس بين الأفكار الاستنتاجية الناتجة عن الطريقة العقلية، والأفكار العلمية الناتجة عن الطريقة العلمية، ونتج عن هذا الخلط إطلاق وصف العلم Science على الثقافة Culture المسماة علم النفس وعلم الاجتماع، وعلوم التربية، بناء على ملاحظات جرى تتبعها على الأطفال، او القرود، أو الفئران، او الكلاب، وجرى تتبعها في ظروف مختلفة فسموا تكرار هذه الملاحظات تجارب علمية [1].

والحقيقة إن أفكار علوم التربية ليست أفكارا علمية، كالطب والهندسة، وعلوم الفضاء، بل هي أفكار عقلية، لأن التجارب العملية هي إجراء عمليات تجارب على نفس المادة محل الاختبار كتجارب

---

[1] - يقول أستاذنا العلامة المفكر الإسلامي محمد محمد حسين تعليقا على سلسلة كتب علم النفس التي أصدرتها مؤسسة فرانكلين: ودورها المشبوه المفضوح: "هذه الدعوة السافرة إلى هدم الخلق والقضاء على الحياء وإشاعة الفاحشة والتي تسمى عند الأمريكيين وسماسرتهم "علم النفس"، وعلماء النفس هؤلاء لا يبنون قواعدهم وقوانينهم على تجارب طنية معرضة للخطأ والتحيز،ولان تكون أداة بيد أصحاب المذاهب السياسية..."، لأنه من الواضح أنه ليس هناك وسيلة للقطع بأن الأفراد الذين جرت عليهم التجارب أو الإحصاءات يمثلون الجنس الذين ينتمون إليه تمثيلا صحيحا، لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان، ومن أجل ذلك كثرت مذاهب علماء النفس والاجتماع والتربية، وتعددت آراءهم، وأصبح كل فريق منهم ينكر آراء الآخرين اشد الإنكار ويسفهها أشد التسفيه" ص ٤٧-٤٨.

الكيمياء، وعليه فملاحظة الطفل في أحوال مختلفة وأعمار مختلفة، وملاحظة الجماعات في بلدان مختلفة وظروف مختلفة، كل ذلك لا يعد في مجال البحث، تجارب علمية ولا طريقة علمية، بينما نجد الملاحظة والمشاهدة والاستنتاج طريقة عقلية ثقافية، وهي: محل خلاف بين عالم وعالم، بل والعالم نفسه عند اختلاف الظروف والأحوال، وعليه فإن أفكار ما أطلق عليه علوم التربية عند الغربيين هي ثقافة، ولا تدخل بحال من الأحوال في حقل تجارب العلوم والتكنولوجيا[1].

ومن المعلوم أن علم النفس وعلم الاجتماع وما انبثق عنهما من علوم التربية، هي أمور ظنية قابلة للخطأ وليست من الأمور القطعية[2]، لأن علم النفس مبني في جملته على نظرته للغرائز، وعلى فهمه

---

[1] - قارن مع حصونها مهددة من داخلها، حيث يقول المؤلف، وحقيقة الأمر في ذلك كله أن العقل ليس هو الأداة الصحيحة لبحث المسائل النفسية كلها، لأن النفس تدخل في علم الغيب الذي لا يخضع لحاسة من الحواس، ولأن تقرير الخطأ والصواب في علم الأخلاق يحتاج لمعرفة العلة الأولى والهدف الأخير..، والتجارب والإحصاءات إذن ليست هي الوسيلة الصحيحة لتقرير الحقيقة في مذاهب الناس وسلوكهم، لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان، والحواس، ولذلك لم يكن هناك مندوحة من الاستناد في التنظيم الاجتماعي، والتقنين التربوي الخلقي إلى الشرائع السماوية، ...لذلك فإن كل سند أصحاب هذه الدعاوي النفسية والاجتماعية والتربوية الشاردة، هو مجرد الظن الذي أضل من قبلهم من الكافرين، والذي وصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأنه لا يغني من الحق شيئا، ص ٤٩-٥٠، وقال في الهامش راجع العالم واينشتين، سلسلة إقرأ دار المعارف ص ٣٤، ٣٨، ٦٧.

[2] - الشخصية الإسلامية ٨٣/١.

للدماغ، فهو ينظر إلى أن في الإنسان غرائز كثيرة، منها ما اكتشف ومنها ما لم يكتشف، "كغزيرة الخوف، وغريزة الميل الجنسي، وغريزة العطف، وغريزة التملك، وغريزة التقديس، وغريزة حب الاستطلاع....."الخ[1].

والحقيقة في هذا كله هي : أن المشاهد بالحس من تتبع الوجع، أو رد الفعل، أن الإنسان فيه طاقة حيوية لها مظهران:

أحدهما: الحاجات العضوية:

وهي ما يتطلب الإشباع وإلا مات الإنسان، وهذا يتمثل في الحاجات العضوية، كالجوع والعطش وقضاء الحاجة.

ثانيهما: الغرائز:

وهي ما يتطلب الإشباع ولكنها إذا لم تشبع يبقي الإنسان حيا، ولكنه يتألم وينزعج ويصيبه القلق، وهذا يتمثل في الغرائز الثلاثة وهي غريزة التدين، وغريزة حب البقاء، وغريزة النوع.

وما عدا هذه الغرائز الثلاثة عند علماء النفس هي مجرد مظاهر ترجع إلى هذه الثلاثة [2].

---

[1] - مفاهيم إسلامية محمد حسين عبد الله ص ١٨ الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م.

[2] - الشيخ تقي الدين النبهاني، التفكير ص ٤١-٤٦، مفاهيم إسلامية ص ١٨، والإسلام وثقافة الإنسان ص ٩، ١٦، والفكر الإسلامي محمد محمد إسماعيل عبده ص ٨٣- ٨٤.

- كالخوف، وحب التملك، وحب الوطن، وحب السيادة ترجع إلى غريزة البقاء.
- والميل الجنسي، والعطف وحب الأبناء، والأمومة ترجع إلى غريزة النوع.
- واحترام الأبطال، والشعور بالعجز، والعبادة ترجع إلى غريزة التدين.

أما من ناحية الرد على الخطأ في فهم علماء النفس للدماغ، فالحقيقة هي أن الدماغ عند البشر واحد، فلا توجد في دماغ قابلية لا توجد في الآخر، فجميع الأدمغة البشرية فيها قابلية التفكير في كل شيء متى توفر "الواقع المحسوس، والحواس السليمة، والمعلومات السابقة الصحيحة، والدماغ السليم"، ولكن الأدمغة تتفاوت في قوة الربط وقوة الإحساس، كما تتفاوت العيون في قوت الإبصار وضعفه، ولذلك كانت عملية التفكير هي نقل الإحساس بالواقع إلى الدماغ، الموجود فيه معلومات سابقة تفسر هذا الواقع، فيصدر الدماغ حكمه على هذا الواقع.

ومن هنا وقع الاشتباه لدى علماء النفس، من قولهم بأن المعلومات السابقة قد تحصل من تجارب الشخص نفسه ابتداء دون تصور سابق لها، فقاموا بإجراء تجارب على الحيوان"الكلب، أو قرد أو فأر"، ثم قاسوا الإنسان على الحيوان، مع قناعتهم بأن ما يحصل

من الحيوان حين سال لعابه بسماع الجرس هو إدراك وفهم ومعلومات سابقة لدى الحيوان، وهذا خطأ مخالف للواقع، بينما الصواب أن ما حصل مع الحيوان، هو مجرد شعور غريزي بما يشبع أو بما لا يشبع، نتيجة خاصية مخلوقة فيه راجعة لغريزة حب البقاء بدليل أننا لو قرعنا الجرس لكلب آخر لم يخضع للتجربة فإنه لا يسيل لعابه، لأن الحيوانات لا تعقل ولا تفكر، فدماغها يخلو من المعلومات السابقة مع انعدام خاصية الربط. ويؤكد الخالق تبارك وتعالى هذه الحقيقة الربانية في الخلق والحياة بقوله جل وعلا ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُوْنَ أَوْ يَعْقِلُوْنَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلاً ﴾[1]، وعلى هذا فاعتبار علم النفس للغرائز، وفهم علماء النفس لطريقة التفكير وكيف تتم في الدماغ، إنما هو اعتبار خاطئ أدى إلى صوغ أكثر نظريات علم النفس، وكثير من علوم التربية التي بنيت على أساسها[2].

أما علم الاجتماع فمبنى في جملته على أساس النظرة الفردية، أي على النظرة التي تنتقل من الفرد إلى الأسرة والجماعة، والمجتمع، على اعتبار أن المجتمع مكون من أفراد فقط، ولهذا فصلوا بين مجتمع وآخر، من جهة أن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لمجتمع آخر، وبنى

---

[1] – سورة الفرقان آية ٤٤.

[2] – الفكر الإسلامي ص ٨٥.

علماء الاجتماع على هذه النظرية نظريات خاطئة، كانت السببُ الرئيسي الذي أدى إلى الخطأ في أفكار علم الاجتماع.

والحقيقة أن الفرد مع الفرد يكونون جماعة وليس مجتمعا، ولا يمكن للجماعة أن تشكل مجتمعا، إلا إذا نشأت بينهم علاقات دائمية، بدليل أن وجود عدة آلاف مسافرين في باخرة لا يجعل منهم مجتمعا، ولكن وجود مائتي شخص في قرية يشكلون مجتمعا، لما بينهم من علاقات دائمية [1]، فالبحث في المجتمع يكون بحثا في المصالح، وهي لا تنشئ علاقة إلا إذا اجتمعت فيها ثلاثة أمور:

أحدها: أن تتوحد رؤية الأطراف في هذه المصلحة.

ثانيها: أن تتوحد المشاعر على المصلحة.

ثالثها: أن يتوحد النظام الذي ينظم هذه المصلحة.

وهكذا فإنه بتوحيد الأفكار والمشاعر والأنظمة في الأفراد ينشأ المجتمع، وبالفهم الصحيح لواقعه فإنه مكون من أربعة: الإنسان، والأفكار، والمشاعر، والأنظمة، ومن هنا كان إصلاح المجتمع إصلاحا جذريا، إنما يكون ببحث المجتمع باعتباره إنسانا وأفكارا ومشاعر وأنظمة، وليس باعتباره مجرد فرد فقط، كما يرى علماء الاجتماع [2].

---

[1] - الشيخ تقي الدين النبهاني نداء حار إلى المسلمين ص ١٧، مطبعة مصر سودان ليمتد، الخرطوم سنة ١٩٦٥م.

[2] - محمد حسين عبد الله مفاهيم إسلامية المجتمع ص ١١- ١١٢٥، سميح عاطف الزين الإسلام وثقافة الإنسان، المجتمع ص ١٥٩، ١٦٩، محمد محمد إسماعيل عبده الفكر الإسلامي ص ٨٥- ٨٦.

أما علوم التربية فهي مبنية على علم النفس، ومتأثرة بعلم الاجتماع، ناتجة عن ملاحظة أعمال الأفراد وأحوال الأطفال، وهذا يجعل علوم التربية يختلط فيها الصحيح بالفاسد، فما بنى على علم النفس، وتأثر بعلم الاجتماع فهو فاسد، وفساده أدى إلى الوقوع في تبنى أفكار تربوية فاسدة، أدت إلى فساد مناهج التعليم.

- فاعتبار الطفل غير قابل للرياضيات، وقابلا للتاريخ هو اعتبار فاسد.
- وتقسيم التعليم إلى علمي وأدبي، مخالف للواقع، ومضر بمصالح الأمة.
- وتقسيم السنة بجعل الصيف كله عطلة للتلاميذ خطأ جسيم.
- ومنح الطلاب يومين عطلة أسبوعية بثمانية أيام من كل شهر، تعطيل للطاقة الحيوية لدى ما يزيد عن ٦٠% من مجموع الأمة.
- وفرض رسوم دراسية على طلبة العلم، أخرج جيشا من العباقرة الفقراء المحتاجين من فرصة قيادة النهضة.
- وجعل معدل الطالب في السنة الثانية عشرة من التعليم المدرسي مقياسا لقدراته الذهنية، فيه ظلم عظيم، وإعدام معنوي للمفكرين.
- واعتماد المعدل المئوي لشهادة الثانوية العامة فقط لتحديد من سيكون طبيبا ومهندسا، وعالم ذرة، ومعلما ميكانيكيا، وعامل نظافة، وجنديا، ومحاميا، وقاضيا، وضابطا، فيه إهانة للعقل البشري، وعدوان على حقوق الإنسان الشرعية.

- وإلغاء المفهوم الصحيح لوزارة المعارف لنعتها بوزارة التربية خطأ فادح، حيث صار التعليم مهنة لا رسالة.
- وجعل أعلى المعدلات معيارا وحيدا لدراسة الطب والهندسة، وأوطاها لدراسة التربية، والفلسفة والقانون، والتاريخ، والعلوم الإسلامية[1] هو حكم على قيادات فكرية بالغباء، وقلة الإدراك، وكسل الهمة والطموح.

---

[1] - وفي هذا يقول المرحوم الشيخ محمد الغزالي في كتابه : "من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث" ص١٩٦٣، ٢٩٠م دار الكتب الحديثة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣م ما نصه: " هذه قصة شهدت وقائعها ولم أعجب لها لطول ما رأيت من أمثالها، وأحسست من آثارها:

كان لرجل ثري ولد مريض البصر، لرمد في عينه، حتى كاد يأتي عليهما لولا بقية من ضياء يعرف بها الولد ألوان الحياة، وجلس الأب يوما فقال لأصحابه: أنا وهبت ابني لله، وسوف أدخله الأزهر بعد أن يحفظ القرآن، وما هي إلا أيام حتى كان الولد يرتل الآيات ويستظهر الصفحات على يد فقيه أعمى معروف بالمهارة، ولكن القدر العجيب لم يشأ أن يترك المسألة تمر عل هذا النحو، فإن الولد الذي حار الطب في عينيه يصح، وكلما مرت الأيام ازداد بصره حدة، وازدادت أجفانه نضارة، وإشراقا، وحار الوالد وجاشت في نفسه شتى الخواطر، لقد وهب ابنه للأزهر، على أساس أنه أعمى أو أشبه أعمى، وذلك وحده ما يجعله يفقه على التعليم الديني، من باب قوله تعالى ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ أما الآن فماذا يصنع؟ ولم يطل تردده فما هي إلا أيام حتى كان الولد بإحدى المدارس المدنية.

ويتابع الشيخ محمد الغزالي قوله: ذلك مبلغ عناية المسلمين بدينهم، لا يهبون لتعلمه إلا طوائف من الناس فيها العمياء، والعوراء والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، !!!،أما أصحاب المواهب العريقة

- واعتماد كرتونة الجامعة بمستوياتها دليلا على الأحقية في تولي المسؤولية، والاعتراف بالمستوى العلمي، يقودنا إلى وضع اديسون والعقاد والفاروق عمر وابن سينا، والإمام الشافعي، وابن النفيس، في حضانة محو الأمية، وكل ذلك خطأ في جملته.

ولذلك ومن هنا جاء خطأ معظم النظريات التربوية الغربية، وفساد كثير من مفاهيم علوم التربية الرأسمالية، وبخاصة تلك التي بنيت على علم النفس وتأثرت بعلم الاجتماع [1].

وفي ذلك يقول المفكر الإسلامي الدكتور محمد محمد حسين في كتابه "حصوننا مهددة من داخلها" وليس يفهم من ذلك أننا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية، والتربوية، فذلك ما لا يدعو إليه عاقل يؤمن بنعمة العقل والتفكير، ولكن الذي ندعو إليه هو أن ندرك نحن المسلمين حق الإدراك مدى طاقتنا العقلية والفكرية، فنقيد أنفسنا في هذه البحوث وأمثالها مما يتصل بعالم الغيب بقيود الدين، نلتزم حدوده ولا نتعسف الطريق حتى لا نتعرض للضلال والهلاك، فنحن إذن لا نعطل العقل، ولكننا نحفظه من الضلال ونلزمه أصولا وقواعد هي كالسور الذي يعصم السالك في الظلام من التردي في

والخصائص الدقيقة الوجوه الصبيحة، والأجسام المكتملة فليس من البر أن يظفر بها دين الله !!!، وإنني أخشى أن يرتفع المستوى الصحي في الأمة، فلا يوجد من يتعلم الإسلام" انتهى كلام الغزالي.

[1] – الفكر الإسلامي ص ٨٧، محمد محمد إسماعيل.

الهاوية، وهي مثل قوانين المنطق التي لا يعبر التزامها حدا للتفكير ولكنه عصمة له.

ونحن إن احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه في الصناعات الآلية، التي كانت سببا في مجده وسلطانه، فمن المؤكد أننا في غير حاجة إلى استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق، التي تدل الأمارات والبوادر على أنها ستؤدي إلى تدمير حضارته، والقضاء عليها قضاءا تاما في القريب العاجل"[1].

لذلك كان من صعوبات استئناف الحياة الإسلامية في عصرنا، ظهور الأفكار غير الإسلامية، وغزوها للعالم الإسلامي[2]، حين مر في العصر الهابط، وهو ضحل التفكير، منعدم المعرفة، ضعيف العقلية، وجاءه الغزو الثقافي وهو على هذه الحالة المزرية بسبب الانحطاط العام، فوجد الغزو تربة خصبة خالية من المقاومة، فتكونت عقلية سياسية مشبعة بالتقليد محاربة للابتكار، فلم تستطع إدراك ما في الغزو الثقافي من زيف وأخطار، وبرز ذلك جليا في البرامج التعليمية التي وضعت على الأساس الذي وضعه الاستعمار في المدارس والجامعات وتخرج من يتولى أمور الحكم والإدارة، والقضاء، والتعليم والطب، وسائر شؤون الحياة بعقلية مهزومة داخليا، منتشية بالإعجاب

---

[1] – محمد محمد حسين حصوننا مهددة من داخلها ص ٥٢– ٦٣.

[2] –الشيخ تقي الدين النبهاني، الدولة الإسلامية ص ١٨٣، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م.

والإكبار بثقافة المستعمر، إلى أن صاروا مدافعين عنها، حتى سار قطارهم الثقافي على سكة مناقضة لاتجاهات الإسلام، وليس المقصود ببرامج التعليم البرامج العلمية كالطب والهندسة والزراعة والفيزياء، وعلوم الأرض، والفضاء، فإن هذه علوم عالمية لا تختص بها أمة من الأمم عبر التاريخ، لأنها عالمية لجميع الناس في كل عصر ومصر، وإنما نعنى بالبرامج التعليمية تلك الثقافة المؤثرة في وجهة النظر في الحياة كالتاريخ والأدب والفلسفة والقانون.

أ- فالتاريخ هو التفسير الواقعي للحياة.

ب- والأدب هو التصوير الشعوري لهذه الحياة.

ج- والفلسفة هي الفكر الأصلي لبناء وجهة النظر في الحياة.

د- والقانون هو المعالجات العملية لمشاكل الحياة.

وهذه كلها ثقافات تبناها المستعمر، ونجح في جعل عقلية بعض أبناء المسلمين تتبنى عدم ضرورة وجود الإسلام في الحياة، ومنهم من أنكر صلاحية الإسلام لمعالجة مشاكل الحياة حتى وصل الأمر بقوم أعلنوا صراحة عداءهم للإسلام.

ومن جراء ذلك كله، وعلى يد أمثال هؤلاء، وجد لدي الرأي العام الإسلامي إكبار وإجلال وتعظيم لبعض المعارف الثقافية الغربية، وذلك كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم التربية، واعتبارها علوما عالمية كالفيزياء، والطب وعلوم الفضاء...، وجعلوا ثقافتها حقائق

نتيجة تجارب علمية، حتى باتت قضايا مسلما بها من خلال مناهج تدرس في الجامعات، حتى صار من علامات المثقف المسلم، الاستشهاد بما قاله علماء النفس، وعلماء الاجتماع، وعلماء التربية أكثر مما يستشهد بالقرآن والحديث النبوي[1]، بل أصبح من الصعوبة بمكان، أن يقبل من أي مثقف جاد مخلص، أو عالم مبدع، أو فقيه مجتهد، أو مفكر سياسي، أي قول مخالف لها، أو توجيه أي نقد لقضاياها، أو بيان لما قد يعتري بعض مسائلها من أخطاء، مع أن الحقيقة واضحة في كون هذه المعارف الثلاثة هي من الثقافة التي قد تصيب وقد تخطئ، وليست علما كحاصل جدول الضرب في علم الحساب، ولذلك يجب أن يتم الإعلان بقوة عن أنها معارف ثقافية، وليست علوما، وأنها مجرد نظريات ظنية، وليست بحال من الأحوال حقائق قطعية، ولذلك جاء كثير من قضاياها، وقد بنيت على أساس خاطئة لا يمكن تحكيمها في الحياة[2].

وقد كان الإمام المجدد الشيخ تقي الدين النبهاني في غاية الوضوح والصراحة، في بيانه لما اصطلح عليه علماء الغرب، علوم النفس والاجتماع والتربية، وأنها مخالفة لطريق الإسلام في دراسة المعارف الثقافية، وقد رأي بعبقريته أن طريقة الإسلام في الدرس تتخلص في ثلاثة أمور هي[3] :

---

[1] – الدولة الإسلامية ص ١٨٥.

[2] – الدولة الإسلامية ص ١٨٦.

[3] – الشخصية الإسلامية ٢٢٨/١، وما بعدها طبعة أولى بيروت.

الطريقة الأولى:

أن تدرس الأشياء بعمق حتى تدرك حقائقها إدراكا صحيحا، لأن هذه الثقافة فكرية عميقة الجذور، يحتاج في دراستها إلى صبر وتحمل، لأن التثقف بها عملية فكرية يحتاج إلى بذل جهد عقلي لإدراكها، لأن الأمر يحتاج إلى فهم جملها، وإلى إدراك واقعها، وربطه بالمعلومات التي يفهم بها هذا الواقع، ولذلك لا بد أن تتلقى تلقيا فكريا، فمثلا يفرض على المسلم أن يأخذ عقيدته بالعقل والتفكير المستنير، لا بالتسليم والتقليد، فدراسة كل ما يتعلق بأساس العقيدة، لا بد من عملية فكرية عند دراسته[1]، والأحكام الشرعية نحن مخاطبون

---

[1] - وذلك واضح في أنه لابد للأشياء، من خالق يخلقها، فالإنسان محدود، والكون محدود، وحين ننظر إلى المحدود نجده ليس أزليا، وهو عاجز محتاج لغيره في وجوده، ومع أن الإيمان بالخالق المدبر فطري في كل إنسان، ولكن هذا الوجدان قاد إلى عبادة الأوثان، وما الخرافات والترهات إلا نتيجة لخطأ الوجدان، الذي قد يجعل الله تعالى صفات تتناقض مع الألوهية ولذلك حتم الإسلام استعمال العقل مع الوجدان حين يؤمن بالله تعالى، ونهي عن التقليد في العقيدة، وجعل العقل حكما، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ سورة آل عمران آية ١٩٠، وقال الله تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ ۝ ﴾ سورة الطارق آية ١٠٥- ١٠٩، ويقول تعالى ﴿إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِيْ تَجْرِيْ فِي

بها في القرآن والسنة النبوية، فلا بد لاستنباطها من عملية فكرية يفهم بها واقع المشكلة، والنص الشرعي المتعلق بها وتطبيقه عليها، وهذه لا بد لها من عملية فكرية، حتى العامي الذي يأخذ الحكم الشرعي دون معرفة دليله من القرآن أو السنة، فإنه يحتاج إلى فهم المشكلة، وفهم الحكم الذي وجد لمعالجتها حتى لا يأخذ حكما لمشكلة أخرى غير المشكلة التي ينطبق عليها الحكم، فلا بد له من عملية فكرية [1].

الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ﴾سورة البقرة آية ١٦٤، وعلى هذا جاء منهج القرآن في الإيمان بتكرار مئات الآيات الموجهة إلى القوم العقلية للإنسان تدعوه إلى التدبر والتأمل، عن عقل بالتفكير المستنير الذي يقود إلى التصديق الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل، (راجع رؤف شلبي منهج القرآن الكريم في إثبات العقيدة الإسلامية بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦م).

[1] - وذلك كشرط الذكورة في الإمام رئيس الدولة، فإنه لا يجوز أن يكون امرأة للحديث "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" فتح الباري ٦٦/١٦، طبعة مصطفى الحلبي، مصر سنة ١٩٥٩م، والمراد توليتها منصب السلطان الأعظم، لأن موضوع الحديث تولية بنت كسرى ملكا، فهو خاص بموضوع الحكم الذي جرى عليه الحديث، فلا ينطبق على تولية المرأة رئاسة الجامعة، وإدارة المستشفى، راجع المسألة في كتابنا الإسلام وأصول الحكم، ص ٣٦٤، طبع سنة ٢٠٠٥م، عالم الكتب الحديث- اربد -الأردن.

الطريقة الثانية:

أن يعتقد الدارس بما يدرس حتى يعمل به، أي أن يصدق الحقائق التي يدرسها تصديقا جازما، دون أن يتطرق إليها أي ارتياب إذا كانت مما يتعلق بالعقيدة [1]، وأن يغلب على ظنه مطابقتها للواقع، إذا كانت من غير العقائد كالأحكام والآداب، ولكن يجب أن تكون مستندة إلى أصل معتقد به اعتقادا جازما، لا يتطرق إليه أي ارتياب [2]، فهي علي أي حال تشترط في أخذ الدارس ما يدرس للاعتقاد، إما بما يأخذ وإما بأصل ما يأخذ، ولا تجيز أخذ الثقافة على غير ذلك مطلقا، فكان من جراء جعل الاعتقاد أساسا في أخذ الثقافة، إن وجدت هذه الثقافة الإسلامية على وضع ممتاز ومتميز، فهي عميقة، وفي نفس الوقت مثيرة مؤثرة، تجعل المثقف بها طاقة ملتهبة، تتأجج نارا تحرق

---

[1] - وذلك كقول الله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيْسَى عِنْدَ اللّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب ثمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ سورة آل عمرانَ آية ٥٩، فعند دراسة الثقافةَ الإسلامية لخلق آدم لا يصح افتراض وجود بشر قبله، أو أنه خلق من أب وأم، لأن ذلك يتناقض مع النص القطعي في أن الله تعالى قد خلق سيدنا آدم من تراب.

[2] - ومثال ذلك حين دراسة قوله تعالى ﴿ اَلرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ عَلَى النِّسَآء ﴾، سورة النساء آية ٣٤، وقول الحق تبارك وتعالى ﴿ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ سورة النساء آية١١، فيجب على الدارس أن يذهب إلى أن هذه المعالجات هي أفضل ما يحقق مصلحة الأسرة لما فيه الخير والوئام، فخالق الخلق هو الأعلم بالإصلاح، ولاستناد النصوص إلى القرآن القطعي.

الفساد، ونورا يضيء طريق الإصلاح، فإن التصديق الجازم بهذه الأفكار يجعل الارتباط الحتمي الذي يجري طبيعيا في داخل الإنسان بين واقعه والمفاهيم الموجودة لديه عن الأشياء مربوطا بهذه الأفكار، باعتبارها معاني عن الحياة فيندفع بشوق وحماس إلى العمل بهذه الأفكار، فيكون هذا التأثير الهائل لهذه الثقافة في النفوس، إذ تحرك المشاعر نحو الواقع الذي تضمنه الفكر، لأن الاعتقاد بها هو ربط المشاعر بمفاهيمها فيحصل حينئذ الاندفاع.

الطريقة الثالثة:

أن يدرسها الشخص دراسة علمية تعالج الواقع المدرك المحسوس لا دراسة مبنية على مجرد أوهام أو فروض نظرية، حتى يصف الأشياء كما هي على حقيقتها ليعالجها ويغيرها، فهو يأخذ الحقائق الموجودة في الكون والإنسان والحياة، مما يقع تحت حواسه أو مما يمكن أن يقع عليه حسه، ويدرسها من أجل معالجتها وإعطاء حكم في شأنها، حتى يعين موقفه منها من حيث أخذها أو تركها، أو جعل الاختيار له بين الأخذ والترك، ومن أجل ذلك لا يجعل الإسلام الإنسان يتبع فروضا نظرية مثل: أن هناك حياة في المريخ فكيف يصوم المسلمون في شهر رمضان هناك، ولا يوجد قمر حتى يوجد شهر رمضان!، وإنما يجعل الإنسان الذي على هذه الكرة الأرضية محل الخطاب، وهو لا بد أن يشهد شهر رمضان فلا بد أن يصومه، ولكنه يقدر أن الغيم قد يحجب

رؤية القمر عن الناس، فيأمر بحكم لهذه الحادثة إذا حدثت، فيقول النبي ﷺ: "صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ"[١]، ولذلك يشترط في أخذ الثقافة أن تكون واقعية لا خيالية [٢]، ولا نظرية [٣]، وأن تدرس للعمل بها عند حدوث واقعها في حياته، لا لمعرفة جمالها والتمتع العقلي بفهمها.

هذه هي طريقة الإسلام في الدرس، وهي التعمق في البحث والاعتقاد بما يتوصل إليه من البحث أو بما يبحثه، وأخذ ذلك واقعيا لتطبيقه في معترك الحياة، ومتى استكملت الدراسة طريقتها هذه، كان

---

[١] – رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد والنسائي سبل السلام ٢/١٥٠، الطبعة الرابعة مطبعة الحلبي بمصر، سنة ١٩٦٠م.

[٢] – وذلك مثل من ذهب من أهل العصر لبحث الاستنساخ البشري بين قائل بالتحريم والإباحة، فهذا ترف عقلي، حيث أن الاستنساخ البشري لم يقع بعد، فيكيف يقومون بتنزيل الأدلة على أحكام منطبقة على واقع ليس له وجود بعد، وقد لا يأتي على الإطلاق؟!!!، راجع المعركة حول حكم الاستنساخ شرعا، الدكتور كامل العجلوني، الاستنساخ بين العلم والأديان، والمعتقدات عمان (الأردن) ٢٠٠٤م.

والاستنساخ هو: "توليد كائن حي بنقل النواة من خلية جسدية إلى بويضة منزوعة النواة أو تشطير بويضة مخصبة" مجمع الفقه الإسلامي، المؤتمر العاشر بالدار البيضاء، يونيو ١٩٩٧م.

[٣] – فمثلا نظرية داروين في أصل الإنسان تناقض نص القرآن في خلق آدم، فترد هذه النظرية لأنها تتعارض مع صريح القرآن، وهكذا كل نظرية من الحضارة الغربية، وإن قيل عنها حقيقة علمية لا بد عند دراستها من ملاحظة عدم مناقضتها للعقيدة الإسلامية.

المسلم المثقف بالثقافة الإسلامية على هذه الطريقة عميق الفكر، مرهف الإحساس، قادرا على حل مشاكل الحياة، ويسير في طريق الكمال طوعا واختيارا، سيرا طبيعيا، ولا يستطيع أن يحيد عن هذا الطريق ما دام سائرا على هذه الطريقة، لأن الأفكار الإسلامية التي يأخذها من هذه الثقافة مثيرة ومؤثرة، وواقعية صادقة، وهي فوق كونها تجعل المثقف ملتهبا، فإنها تجعل في المسلم مقدرة غير عادية على مجابهة مشكلات الحياة بحلول لدقيقها وجليلها وسهلها وصعبها، ولذلك تتكون عنده العقيلة التي لا ترضى إلا بقناعة العقل وطمأنينة القلب، وتتكون عنده في نفس الوقت النفسية الإسلامية المشبعة بالإيمان الكامل، وبهذه العقلية والنفسية يتصف الشخص بالصفات الرائعة التي يتطلبها الإسلام من المسلم، وبهذه العقلية والنفسية يتغلب على جميع الصعوبات التي تعترضه في الطريق، وذلك لما يلاحظ في مادة هذه الثقافة الإسلامية من أفكار عميقة مستنيرة، ومن كون هذه الأفكار مبنية على العقيدة، يتمثل فيها إدراك الإنسان صلته بالله تعالى، فهي إما من عند الله تعالى أو مستنبطة مما هو من عند الله من كتاب أو سنة، ففيها الناحية الفكرية من حيث كونها فكرا، وفيها في نفس الوقت الروح، من حيث وجود إدراك الصلة بالله تعالى، حين أخذها باعتبارها من عند الله، ولذلك تجعل كل مثقف بها مستنير الفكر، متأجج الحماس، قد باع نفسه في سبيل الإسلام ابتغاء مرضاة الله، كما تجد المثقف بها يعرف ماذا يريد، ويعرف كيف يحل مشاكل الحياة، لأنه قد تعلم الحقائق التي يواجـــه بها معترك

خوض غمار الحياة، وهو مزود بخير زاد الفكر المستنير والتقوى، والمعرفة التي تحل جميع المشاكل، وهذا جماع الخير العميم [1].

والحاصل: [2]أنه يجب أن يحرص كل الحرص على العقيدة الإسلامية حين التزود بالثقافات والعلوم، في جعل الشخصية الإسلامية هي المركز الأساس لاكتساب أي ثقافة، وملاحظة عدم التناقض معها في اكتساب العلوم، وهذا الحرص هو الذي يبقى على وجود الشخصية الإسلامية لدى المسلم، ويجعل الثقافة الإسلامية تؤثر في غيرها من الثقافات، ويحافظ على بقائها ثقافة إسلامية متميزة عن سائر ثقافات العالم، وإذا ذهب هذا الحرص، وتساهل المسلمون في ذلك، فاكتسبوا الثقافات الأخرى علي غير أساس الإسلام، ولم يلاحظوا العقيدة الإسلامية حين أخذ العلوم، فإن ذلك يؤدي إلى وجود خطر حقيقي على الشخصية الإسلامية بل على الأمة الإسلامية إذا طال أمد هذا السير، واستمر جيلا أو أجيالا، ومما سبق عرضه من أفكار ومفاهيم، لا بد من التركيز على إبراز مفهوم الشخصية من وجهة نظر الإسلام، حيث عالج الإسلام الإنسان معالجة كاملة لإيجاد شخصية متميزة، إذ جعل العقيدة الإسلامية هي القاعدة الفكرية التي تبنى عليها الأفكار، وتتكون المفاهيم وبذلك يوجد لديه المقياس الصحيح للأفكار، فيأمن بذلك زلل الفكر بسلامة الإدراك، وفي نفس الوقت عالج الإسلام أعمال الإنسان الصادرة عن

---

[1] - الإمام الشيخ تقي الدين النبهاني الشخصية الإسلامية ١/٢٣١.

[2] - المرجع السابق ١/٨-١٠، ٢٣٢ بتصرف.

حاجاته العضوية وغرائزه بالأحكام الشرعية المنبثقة عن هذه العقيدة معالجة صحيحة تنظم الغرائز ولا تكبتها، وتنسقها ولا تطلقها، وتهيئ له إشباع جوعاته إشباعا متناسقا، يؤدي إلى الطمأنينة والاستقرار، فالإسلام تولى بالعقيدة حل العقدة الكبرى عند الإنسان، فتكون لديه مفهوم عام كمقياس تقوم على أساسه العقلية والنفسية، وبهذا يتبين أن الشخصية الإسلامية مكونة من أمرين هما:

- العقلية: وهي التفكير على أساس العقيدة الإسلامية.
- النفسية: وهي جعل الميول كلها على أساس الأحكام الشرعية.

فكل من يفكر على أساس الإسلام، ويجعل هواه على أساسه، يكون شخصية إسلامية بغض النظر عن كونه متعلما أو غير متعلم، ومن هنا يأتي تفاوت الشخصيات الإسلامية، وتفاوت العقليات الإسلامية، وتفاوت النفسيات الإسلامية، ولذلك يخطئ كثيرا أولئك الحالمون الذين يتصورون الشخصية الإسلامية على أنها ملاك، وضرر هؤلاء في المجتمع أعظم جدا، لأنهم يبحثون عن الملاك في البشر، فلا يجدونه مطلقا، بل لا يجدونه في أنفسهم، فييأسون وينفضون أيديهم من المسلمين، وهؤلاء الخياليون إنما يبرهنون على أن الإسلام دين خيالي، وأنه مستحيل التطبيق، فيصدون الناس عن الإسلام، ويقعدون عن العمل، بجعلهم البشر ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم[1].

---

[1] - سميح عاطف الزين الإسلام وثقافة الإنسان ص ٩٣- ٩٨ بتصرف.

والمسلم حين تتكون لديه الشخصية الإسلامية[1]، يصبح مؤهلا للقيادة والجندية في آن واحد، جامعا بين الرحمة والشدة، والزهد والنعيم، فيستولى على الدنيا بحقها، وينال الآخرة بالسعي لها، ولذا لا تغلب عليه صفة من صفات عباد الدنيا، ولا يأخذه الهوس الديني، أو الغلو التفكيري، ولا التقشف الهندي، فيزعم أنه قد طلق الدنيا، وهذا المسلم ذو الشخصية الإسلامية، تراه حين يكون بطل جهاد يكون حليف محراب، جامعا بين الإمارة والفقه، وبين السياسة والتجارة، لأنه مدرك

- محمد محمد إسماعيل الفكر الإسلامي ص ٧٠-٧٢ بتصرف.
- محمد حسين عبد الله مفاهيم إسلامية ص ٨٣- ٩٠ بتصرف.
- تقي الدين النبهاني مقدمة الدستور ص ٤١٤- ٤١٦ بتصرف الطبعة الأولى بيروت سنة ١٩٥٤م.

[1] - يقول الأستاذ محمد حسين عبد الله: ولتكوين الشخصية الإسلامية لا بد من الاستزادة من الثقافة الإسلامية، التي تجعل المسلم قادرا على أخذ الحكم الشرعي بنفسه من الأدلة، وتجعله قادرا على تكوين عقليات إسلامية بهذه الثقافة، ولتنمية النفسية الإسلامية، لا بد من ربط الدوافع الغريزية بمفاهيم العقلية الإسلامية، ولا بد من العيش في الاجواء الإيمانية، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم صانع للشخصيات الإسلامية الفذة، متبعا في ذلك الخطوات التالية:

أولا: لفت الأنظار إلى التفكير بالمخلوقات الدالة على وجود الله تعالى.

ثانيا: بيان ربط علاقة حياة الإنسان الدنيوية بما بعد الموت، (الحياة الآخرة) كما في معظم السور المكية.

ثالثا: تكليف المسلمين بمعالجة كافة مشاكل الحياة على أساس الإسلام (مفاهيم إسلامية ص ١٠٥- ١١٠).

أنه عبد لله تعالى، فهذا هو المسلم المؤمن صاحب الشخصية الإسلامية، التي جعل منها الإسلام خير إنسان على ظهر الأرض.

ومن هنا يجب أن يكون الأساس الذي تقوم عليه مناهج التربية والتعليم وهو العقيدة الإسلامية، فتوضع مواد الدراسة، وطريق التدريس جميعها، على الوجه الذي لا يحدث أي خروج في التعليم عن هذا الأساس، لأن سياسة التعليم هي تكوين العقيلة الإسلامية والنفسية الإسلامية، لأن الغاية من تزويد الناس بالمعارف والعلوم، والثقافة والأفكار والمفاهيم، هي إيجاد الشخصية الإسلامية.

والخلاصة:

إن سياسة التعليم والتربية في الإسلام، كلها منصبة على هدف واحد هو تكوين الشخصية الإسلامية فكرا وسلوكا، لحفظ المجتمع الإسلامي من زيغ العقائد وفساد الأفكار، وبناء أمة متماسكة متميزة حضاريا وفكريا ومشاعريا، لتكون مؤهلة لتحقيق وصف بارئها عز وجل ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

ويغلب على ظني أن هذا البحث الذي جعلته بعنوان "تجديد الخطاب التربوي في التعليم الجامعي للمعارف الإسلامية – المدخل والمنهج" قد جاء بأفكار جديدة عما هو مألوف مكرر في مناهج التعليم الدول القائمة

---

[1] – سورة آل عمران آية ١١٠.

في العالم الإسلامي، وكانت انطلاقتي فكرية، من حيث أتبنى ضرورة الانتفاع بأية ثقافة غربية، مع عدم التأثر بها، حفاظا على هوية الشخصية الإسلامية الحضارية للأمة.

الخاتمة ونتائج البحث:

وهكذا يمضي قطار الفكر التربوي الإسلامي سائرا على سكة العقيدة نحو الهدف النهائي، الذي يصب في التوجه نحو نيل رضوان الله تعالى، مرورا بمحطات من المعلومات والأفكار والمفاهيم، التي تضبط الحركة والعمل والآثار، والنتائج لإيجاد الشخصية الإسلامية.

وقد مر بنا في صفحات هذا البحث كيف أننا فرقنا بين العلم والثقافة، والحضارة والمدنية، والنظام والتقدم العلمي والطريقة والوسيلة.

وقد كان من أساس المنطلق ضبط المصطلحات، وتحديد الأفكار، وتفعيل المفاهيم، بحيث يظل الإبقاء على الفكرة والطريقة ناصعة بيضاء نقية عميقة مستنيرة، تؤثر ولا تتأثر، تنفع وتنتفع في محاكاة نادرة انطلاقا من كون الإسلام هو المنقذ الوحيد للإنسانية من أوحال الضلال، في إيقاع عظيم لم تعرفه البشرية من قبل ومن بعد.

وجاء البحث إضاءة فكرية لا بد منها للخائضين في أوحال عولمة الرأسمالية التي تقود الانحطاط الفكري المعاصر بعيدا عن هدى السماء، وبعرضنا لخطاب الفكر التربوي الإسلامي كنظرية ومنهاج، من خلال الصحيح للإسلام، برزت للقارئ عدة حقائق ومفاهيم من بينها:

- شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة، من خلال تحكيم الكتاب والسنة، بالثوابت في مجال منظومة القيم، التي تبنى الشخصية الإنسانية الحضارية.
- إن العقيدة الإسلامية وحدها هي الإيمان المتصالح مع الفطرة والتفكير العميق، لبناء سلوك النفس البشرية.
- إن سياسة التربية والتعليم التي رسمها سيد الأنبياء، لا تزال وحدها القادرة والمؤهلة لإنقاذ الأمة من الهزيمة في معركة صراع الحضارات.
- إن ما ورد من نصوص الوحي في احترام العلم والتعلم، فيه البرهان على صحة جعل الإسلام للعمل من الحاجات الأساسية للجماعة.
- إن تعرض القرآن للأفكار والمعتقدات الفاسدة دليل جواز تعلم ما يتناقض مع العقيدة الإسلامية ولكن بانفتاح محكوم بضوابط للفهم الصحيح، من غير أخذ لها، ولا اعتقاد بها، وهو أمر مطلوب تربويا.
- إن ما جاء به القرآن من معارف يشكل ثورة ثقافية لم تعرف البشرية لها مثيلا.
- إن وضع برامج طرق التعلم والتعليم يجرى عليه الخطأ والصواب، لكونه اجتهادا عقليا في تنزيل الفهم الإسلامي على وقائع مستجدة لخبرات بشرية في المعرفة.

- إن الثقافة الإسلامية هي المعارف التي تم بناؤها على العقيدة الإسلامية وهي:

أ- المعارف التي كانت العقيدة سببا في بحثها، مثل علم التوحيد.

ب- المعارف التي تم بناؤها على العقيدة مثل الفقه والتفسير.

ج- المعارف التي يقتضيها فهم ما ينبثق عن العقيدة مثل اللغة العربية.

- طرح السؤال التالي بقوة هل المفاهيم التربوية الغربية هي من الثقافة الإسلامية؟.وهل كان طرح معرفة أسلمة علوم التربية إشباعا للخطاب التربوي الإسلامي المعاصر؟.
- إن كافة اتجاهات المعاصرين نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، لا تزال حائرة بين رافض وتابع ومهادن، فلا يصح لأي منهم ممارسة الإرهاب الفكري وادعاء احتكار الصواب.
- إن النزاهة في البحث قادت إلى ضرورة التسليم بصواب بعض الأساليب التربوية في تقنيات التعليم لانطباقها على الواقع.
- وضوح تحديد الموقف من عملية الغزو الفكري في مجال التربية والتعليم حيث برز:
- جناح الفكر والمفاهيم في التصور الكلي للكون والإنسان والحياة، المنبثق عن العقيدة العلمانية، وهذا الجناح لا يمكنه التعايش معنا، ولا يمكننا التعايش معه لإعلانه الحرب على العقيدة الإسلامية.

- جناح تطويع الأفكار العلمية كالإحصاء التربوي، والقياس والتقويم، وصياغة الأسئلة السابرة، والتعليم عن بعد، فهذا جناح تنتفع به الثقافة الإسلامية.
- لقد بات واضحا أن العلوم من طب وهندسة وفيزياء، عالمية لا دين ولا وطن لها.
- من فساد القول القياس الشمولي برفض كل ما أنتجته العقلية الغربية من علوم التربية.
- إننا لا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية القادمة إلينا من الحضارة الغربية، فذلك ما لا يدعو إليه عاقل يؤمن بنعمة التفكير القادر على الانتفاع وعدم التأثر.
- من الخطأ القاتل للهوية الحضارية لهذه الأمة، ترك التحصيل العلمي للفكر التربوي لمن لم يتزود بالفهم الصحيح للإسلام.
- إن طريقة الإسلام في الدرس هي الضمانة الحضارية لتكوين الشخصية الإسلامية.

وفي الختام آمل أن يكون هذا البحث خطوة على طريق إعادة الثقة بقدرة علماء الأمة على التجديد فيما يبيحه شرع الله تعالى، إلى جانب التوجه نحو تعزيز مقدرة المعارف الإسلامية على الصمود في وجه الغزو الفكري، الذي لم تخمد أنفاسه بعد، فالصراع الفكري، لا يزال في قلب معركة الصراع الحضاري بين الإسلام وأعدائه، وقعقعة

السلاح لا تزال تحلق مع طائرات الاباتشي الأمريكية، في سماء جنين ورفح والنجف والفلوجة، وقد مس أهلها البأساء والضراء وزلزلوا، وحناجر أطفالهم (صباح ومساء وعلى مسمع وبصر جميع قادة جيوش المسلمين) تستصرخ نخوة المعتصم، وسيف الناصر صلاح الدين، وصرخة سيف الله المسلول، يا خيل الله اركبي، وأكف الضراعة من الشيوخ الركع نحو السماء ترنوا ولسان حالهم: اللهم نصرك الذي وعدتنا....يا ناصر المظلومين، أغثنا يا الله، بانعقاد البيعة لأمير المؤمنين في دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وهو يقود جحافل الجيش الإسلامي برا وبحرا وجوا، حتى تكون كلمة الله هي العليا، ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله...، وإن ذلك لكائن بفتح قريب إن شاء الله.

وأخيرا أسأل المولى عز وجل أن يجعل ما بذلته من جهد في هذا البحث في ميزان أعمالي، مع غلبة ظني، إن ما تبنيته من فكر إسلامي هو صواب يحتمل الخطأ، وما من عمل بشري إلا ويعتريه النقص والعجز والاحتياج، وذلك دلالة على أن الكون والإنسان والحياة مخلوقة للخالق الرحمن الرحيم، تبارك الله وتعالى عما يصفون.

مراجع البحث

١- د. إسحاق الفرحان "كتاب المؤتمر التربوي" لمؤتمر نحو "بناء نظرية تربوية معاصرة" عمان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

٢- أنور الجندي "بماذا انتصر المسلمون" مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م.

٣- البخاري "صحيح البخاري" دار ابن حزم للنشر، بيروت.

٤- تقي الدين النبهاني "الشخصية الإسلامية" الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤م القدس.

٥- تقي الدين النبهاني "التفكير" الطبعة الأولى بيروت سنة ١٩٧٣م.

٦- تقي الدين النبهاني "نداء حار إلى المسلمين" الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥م، مطبعة مصر سودان المحدودة الخرطوم.

٧- تقي الدين النبهاني "الدولة الإسلامية" الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م بيروت.

٨- تقي الدين النبهاني "مقدمة دستور دولة الخلافة" الطبعة الأولى بيروت سنة ١٩٥٤م.

٩- رؤوف شلبي "منهج القرآن في إثبات العقيدة الإسلامية" الطبعة الثانية بيروت سنة ١٩٧٦م.

١٠- د.سعيد إسماعيل علي "اجتماعات المعرفة في التربية الأخلاقية" بحث في مؤتمر نحو "بناء نظرية تربوية إسلامية" كتاب المؤتمر عمان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

١١- د.سعيد إسماعيل علي "الخطاب التربوي الإسلامي" سلسلة كتاب الأمة العدد ١٠٠، وزارة الأوقاف القطرية سنة ١٤٢٥هـ.

١٢- سميح عاطف الزين "الإسلام وثقافة الإنسان" دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة السابعة سنة ١٩٨١م.

١٣- عبد العزيز القوصي "الطفل والأمور الجنسية" سلسلة دراسات سيكولوجية العدد الثاني عشر مؤسسة فرانكلين.

١٤- الشيخ عثمان الصافي "أسلمة العلوم الإنسانية" عنوان وهمي لا واقع موضوعي له، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

١٥- د. علي أحمد مدكور "مفهوم المنهاج التربوي في التصور الإسلامي" كتاب المؤتمر التربوي الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م، عمان (الأردن).

١٦- عمر عبيد حسنة "مقدمة كتاب الخطاب التربوي الإسلامي" كتاب الأمة العدد ١٠٠ سنة ١٤٢٥هـ، وزارة الأوقاف القطرية.

١٧- كامل العجلوني "الاستنساخ بين العلم والأديان والمعتقدات" عمان (الأردن) سنة ٢٠٠٤م.

١٨- مجمع الفقه الإسلامي "مجلة مجمع الفقه الإسلامي" جدة المؤتمر العاشر، الدار البيضاء يونيو ١٩٩٧م.

١٩- محمد إسماعيل عبده "الفكر الإسلامي" طبعة القدس الأولى سنة ١٩٥٣م.

٢٠- محمد حسين عبد الله "مفاهيم إسلامية" الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م (عمان - الأردن).

٢١- محمد بن علان "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" مكتبة مصطفى الحلبي بمصر سنة ١٣٨٥هـ.

٢٢- الشيخ محمد الغزالي "كتاب مؤتمر نحو نظرية تربوية معاصرة" عمان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

٢٣- الشيخ محمد الغزالي "من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث" دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

٢٤- د. محمد محمد حسين "حصوننا مهددة من داخلها" المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧م.

٢٥- د. محمود الخالدي "الإسلام وأصول الحكم" عالم الكتب الحديث ٢٠٠٥م (اربد- الأردن).